

## سورة القمر

مكيّة كلّها في قول الجمهور. وقال مقاتل: إلا ثلاث آيات من قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ [الآية: ٤٤] إلى قوله: ﴿وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ﴾<sup>(١)</sup> [الآية: ٤٦] ولا يصحّ على ما يأتي<sup>(٢)</sup>. وهي خمس وخمسون آية<sup>(٣)</sup>.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَبْتَ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ﴾ ① وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ ② وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ③ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرَ ⑤ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ ⑥ خُشَعًا أَنْصَرَّهُمْ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرَةٌ ⑦ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ⑧

قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَبْتَ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ﴾ «أفتربت»: أي: قريت، مثل ﴿أزفت﴾ [الأزفة: ٥٧] على ما بيّناه. فهي بالإضافة إلى ما مضى قريبة؛ لأنه قد مضى أكثر الدنيا، كما روى قتادة عن أنس قال: خطب رسول الله ﷺ وقد كادت الشمس تغيب فقال: «ما بقي من دنياكم فيما مضى إلا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى» وما نرى من الشمس إلا يسيراً<sup>(٤)</sup>. وقال كعب وهب: الدنيا ستّة آلاف سنة. قال وهب: قد

(١) النكت والعيون ٤٠٨/٥ .

(٢) عند الآية (٤٥) من هذه السورة.

(٣) الوسيط ٢٠٦/٤ .

(٤) أخرجه بهذا اللفظ الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ١٢١/٧ ، وأخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل ٢٣٤٤/٦ بنحوه، قال ابن عدي: ولموسى بن خلف عن قتادة، عن أنس غير هذا يرويه عن موسى ابنه خلف وغير ابنه، ولا أرى بروايته بأساً.

وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرک ٤٤٤/٢ عن ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: كُتِبَ [من رجال الإسناد] ضعفه النسائي، ومثناه غيره.

مضى منها خمسة آلاف سنة، وست مئة سنة. ذكره النحاس.

ثم قال تعالى: «وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ» أي: وقد انشق القمر. وكذا قرأ حذيفة: «اقتربت الساعة وقد انشق القمر»<sup>(١)</sup> بزيادة «قد»، وعلى هذا الجمهور من العلماء، ثبت ذلك في «صحيح البخاري» وغيره من حديث ابن مسعود<sup>(٢)</sup> وابن عمر<sup>(٣)</sup> وأنس<sup>(٤)</sup> وجبير ابن مطعم<sup>(٥)</sup> وابن عباس<sup>(٦)</sup> . وعن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت: «اقتربت الساعة وانشق القمر» إلى قوله: «سحر مستمر» يقول: ذاهب. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح<sup>(٧)</sup>.

ولفظ البخاري<sup>(٨)</sup> عن أنس قال: انشق القمر فرقتين. وقال قوم: لم يقع انشقاق القمر بعد وهو متظر، أي: اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر، وأن الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره<sup>(٩)</sup>. وكذا قال القشيري. وذكر الماوردي<sup>(١٠)</sup>: أن هذا قول الجمهور، وقال: لأنه إذا انشق ما بقي أحد إلا رآه؛ لأنه آية، والناس في الآيات سواء. وقال الحسن: اقتربت الساعة، فإذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية. وقيل: «وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ» أي: وضع الأمر وظهر، والعرب تضرب بالقمر مثلاً فيما وضح، قال:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي ضُدُورَ مَطِيئِكُمْ      فَإِنِّي إِلَى حَيِّ سِوَاكُمْ لِأَمِيلُ

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/٢٩٧.

(٢) البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠)، وأحمد (٣٥٨٣).

(٣) مسلم (٢٨٠١).

(٤) البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢)، وأحمد (١٢٦٨٨).

(٥) الترمذي (٣٢٨٩)، وأحمد (١٦٧٥٠).

(٦) البخاري (٣٦٣٨)، ومسلم (٢٨٠٣).

(٧) الترمذي (٣٢٨٦)، وهو عند أحمد (١٢٦٨٨)، ومسلم (٢٨٠٢)، ولم يرد ذكر الآيتين عند مسلم.

(٨) برقم (٤٨٦٨)، وهو عند مسلم (٢٨٠٢): (٤٧)، وأحمد (١٣٩١٨).

(٩) المفهم ٧/٤٠٥ وعزاه للحسن البصري.

(١٠) في النكت والعيون ٥/٤٠٩.

فقد حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ      وَشُدَّتْ لَطِيَّاتِ مَطَايَا وَأَرْحُلٌ<sup>(١)</sup>

وقيل: انشقاق القمر: هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها، كما يُسَمَّى الصبح فَلَقًا؛ لانفلاق الظلمة عنه. وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه، كما قال النابغة:

فَلَمَّا أَذْبَرُوا وَلَهُمْ دَوِيٌّ      دَعَانَا عِنْدَ شَقِّ الصُّبْحِ دَاعٍ<sup>(٢)</sup>

قلت: وقد ثبت بنقل الأحاد العدول أنَّ القمر انشقَّ بمكَّة، وهو ظاهر التنزيل، ولا يلزم أن يستوي الناس فيها؛ لأنَّها كانت آيةً ليليةً، وأنَّها كانت باستدعاء النبي ﷺ من الله تعالى عند التحدي<sup>(٣)</sup>. فروي أنَّ حمزة بن عبد المطلب - حين أسلم غضباً من سبِّ أبي جهل الرسول ﷺ - طلب أن يُريه آيةً يزداد بها يقيناً في إيمانه<sup>(٤)</sup>. وقد تقدَّم في «الصحيح» أنَّ أهل مكَّة هم الذين سألوا وطلبوا أن يُريهم آيةً، فأراهم انشقاق القمر فلقتين كما في حديث ابن مسعود وغيره.

وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال: أَلَا إِنَّ السَّاعَةَ قَدْ اقْتَرَبَتْ، وَإِنَّ الْقَمَرَ قَدْ انشَقَّ عَلَى عَهْدِ نَبِيِّكُمْ ﷺ<sup>(٥)</sup>.

وقد قيل: هو على التقديم والتأخير، وتقديره: انشقَّ القمر واقتربت الساعة، قاله ابن كيسان. وقد مرَّ عن الفراء أنَّ الفعلين إذا كانا متقاربي المعنى، فلك أن تقدِّم وتؤخِّر، عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ هذا يدلُّ على أنَّهم رأوا انشقاق القمر<sup>(٧)</sup>.

(١) القائل الشنفرى الأزدي، وهو في ذيل أمالي القالي ص ٢٠٣، وخزانة الأدب ٤٣٠/٣، وقوله: أقيموا بني أمي... إلخ، يقال: أقام صدر مطبته: إذا جدَّ في السير، يؤذن قومه بالرحيل. وقوله: حُمَّتِ الْحَاجَاتُ... إلخ، يريد: تتبَّهوا من رقدتكم فهذا وقت الحاجة. والطَّيَّة: النَّيَّة. الخزانة ٣٤١/٣.

(٢) النكت والعيون ٤٠٩/٥، ونسبه للنابغة الجعدي، ولم نقف عليه في ديوانه.

(٣) المفهم ٤٠٤/٧.

(٤) النكت والعيون ٤٠٩/٥.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ الزجاج في معاني القرآن له ٨٤/٥، وأخرجه أيضاً عبد الرزاق (٥٢٨٥)، وابن أبي شيبة ١١٥/٢، و٣٧٨/١٣، والطبري ١٠٧/٢٢ - ١٠٨، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧٠٦) و(٧٠٧) عن أبي عبد الرحمن السلمي.

(٦) الآية (٨) من سورة النجم، وسلفت ص ١٦ من هذا الجزء.

(٧) الوسيط ٢٠٧/٤.

قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: إن كنت صادقاً فاشق لنا القمر فرقتين، نصف على أبي قُبَيْس ونصف على قُعَيْقَعَانَ، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن فعلتْ تؤمنون؟» قالوا: نعم؟ وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله ﷺ ربّه أن يعطيه ما قالوا، فانشقَّ القمر فرقتين، ورسول الله ﷺ ينادي المشركين: «يا فلان يا فلان اشهدوا»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث ابن مسعود: انشقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا من سحر ابن أبي كبشة، سَحَرَكُم فاسألوا السُّفَّار. فسألوهم فقالوا: قد رأينا القمر انشقَّ، فنزلت: «افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا»<sup>(٢)</sup>. أي: إن يروا آيةً على صِدْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ أعرضوا عن الإيمان<sup>(٣)</sup>.

﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: ذاهب، من قولهم: مَرَّ الشَّيْءُ واستمرَّ: إذا ذهب<sup>(٤)</sup>، قاله أنس وقتادة ومجاهد والفراء والكسائي وأبو عبيدة<sup>(٥)</sup>، واختاره النحَّاس. وقال أبو العالية والضحاك: محكم قويٌّ شديد<sup>(٦)</sup>. وهو من المِرَّة: وهي القوَّة<sup>(٧)</sup>، كما قال لقيط:

حتى استمرت على شزرٍ مَريرتُهُ مُرُّ العَزيزِمةِ لا رتاً<sup>(٨)</sup> ولا ضرعاً

(١) زاد المسير ٢٨٧/٨، وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٢٠٩) بتمامه، وضعفه ابن حجر في فتح الباري ١٨٣/٧. وأخرجه أيضاً الزجاج في معاني القرآن له ٨٤/٥-٨٥ عن ابن زيد مختصراً. وأبو قيس وقعيقان: جبلان بمكة. معجم البلدان ٨٠/١ و ٣٧٩/٤.

(٢) أخرجه الطيالسي (٢٩٥)، والطبري ١٠٦/٢٢ - ١٠٧، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢١١).

(٣) الوسيط ٢٠٧/٤.

(٤) الصحاح (مر).

(٥) النكت والعيون ٤١٠/٥ عن أنس وأبي عبيدة، والمحجر الوجيز ٢١٢/٥ عن قتادة ومجاهد والكسائي، وأما قول الفراء فهو في معاني القرآن له ١٠٤/٣، وقول مجاهد في تفسيره ٦٣٥/٢، وأخرجه عنه - وعن قتادة أيضاً - الطبري ١١٣/٢٢.

(٦) تفسير البغوي ٢٥٨/٤، وزاد المسير ٨٩/٨.

(٧) الصحاح (مر).

(٨) في (م): لا قحماً. وكذا جاءت الرواية في الكامل للمبرد ١٣٥٠/٣، والقحم: الكبير المسنن. اللسان (قحم)، والبيت سلف ص ١٣ من هذا الجزء.

وقال الأخصس: هو مأخوذ من إمرار الحبل، وهو شدة قتله<sup>(١)</sup>.

وقيل: معناه: مُرٌّ من المرارة. يقال: أمرَّ الشيءُ: صار مُرّاً، وكذلك مرَّ الشيءُ [يَمُرُّ] بالفتح مرارةً، فهو مُرٌّ، وأمرَّه غيره ومرَّره<sup>(٢)</sup>. وقال الربيع: مستمرٌّ: نافذ. يمان: ماضٍ. أبو عبيدة: باطل.

وقيل: دائم. قال:

وليس على شيء قويم بمُستمرٍّ<sup>(٣)</sup>

أي: بدائم. وقيل: يُشبهه بعضه بعضاً<sup>(٤)</sup>، أي: قد استمرت أفعال محمد على هذا الوجه فلا يأتي بشيء له حقيقة، بل الجميع تخييلات. وقيل: معناه: قد مرَّ من الأرض إلى السماء<sup>(٥)</sup>.

﴿وَكَذَّبُوا﴾ نَبِينَا ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: ضلالاتهم واختياراتهم. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: يستقرُّ بكلِّ عامل عمله، فالخير مستقرٌّ بأهله في الجنة، والشرُّ مستقرٌّ بأهله في النار<sup>(٦)</sup>.

وقرأ شيبة: «مُسْتَقَرٌّ» بفتح القاف<sup>(٧)</sup>، أي: لكلِّ شيء وقت يقع فيه من غير تقدُّم وتأخُّر. وقد روي عن أبي جعفر بن القَعْقَاع: «وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ» بكسر القاف والراء<sup>(٨)</sup>، جعله نعتاً لـ «أمرٍ»، و«كُلُّ» على هذا يجوز أن يرتفع بالابتداء، والخبر

(١) النكت والعيون ٤١٠/٥ .

(٢) الصحاح (مرر)، وما بين حاصرتين منه.

(٣) القائل امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص ١٠٩، وصدرة:

ألا إنَّما الدنيا لِيَالٍ وَأَغْضُرٌّ

(٤) النكت والعيون ٤١٠/٥ .

(٥) النكت والعيون ٤١٠/٥ وعزاه إلى مجاهد.

(٦) النكت والعيون ٤١٠/٥ وعزاه إلى قتادة، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/١١٤ - ١١٥ .

(٧) الكشاف ٤/٣٦ ولم يمزها، وعزاها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٢١٢ إلى نافع وابن نصح.

(٨) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/٢٩٧، والنشر ٢/٣٨٠ .

محذوف، كأنه قال: وكلُّ أمرٍ مستقرٍ في أمِّ الكتابِ كائنٌ<sup>(١)</sup>. ويجوز أن يرتفع بالعطف على الساعة، المعنى: اقتربت الساعة وكلُّ أمرٍ مستقرٍ<sup>(٢)</sup>، أي: اقترب استقرار الأمور يوم القيامة<sup>(٣)</sup>. ومن رفعه جعله خبراً عن «كلّ».

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: من بعض الأنبياء، فذكر سبحانه من ذلك ما علم أنهم يحتاجون إليه، وأنَّ لهم فيه شفاء. وقد كان هناك أمور أكثر من ذلك، وإنَّما اقتصر علينا ما عَلِمَ أنَّ بنا إليه حاجة، وسكت عمَّا سوى ذلك، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: جاء هؤلاء الكفار من أنبياء الأمم الخالية<sup>(٤)</sup> ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ما يزرهم عن الكفر لو قبلوه<sup>(٥)</sup>. وأصله: مُزْتَجِرٌ، فقلبت التاء دالاً؛ لأنَّ التاء حرف مهموس، والزاي حرف مجهور، فأبدل من التاء دالاً توافقها في المخرج، وتوافق الزاي في الجهر<sup>(٦)</sup>. و «مُزْدَجِرٌ» من الزجر: وهو الانتهاء<sup>(٧)</sup>، يقال: زَجَرَهُ وازْدَجَرَهُ، فانزَجِرْ وازْدَجِرْ<sup>(٨)</sup>، وزجرته أنا فانزجر، أي: كفته فكفَّ، كما قال:

فأصبح ما يطلبُ الغانيا  
ثُ مُزْدَجِرًا عن هواه ازدجارا<sup>(٩)</sup>  
وقرئ: «مُزَجِرٌ» بقلب تاء الافتعال زايًا، وإدغام الزايِّ فيها، حكاه  
الزمخشري<sup>(١٠)</sup>.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٦/٤.

(٢) الكشاف ٣٦/٤.

(٣) المحتسب ٢٩٧/٢.

(٤) النكت والعيون ٤١٠/٥.

(٥) تفسير أبي الليث ٢٩٨/٣.

(٦) البيان لابن الأنباري ٤٠٣/٢، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٦٩٧/٢.

(٧) المحرر الوجيز ٢١٢/٥.

(٨) الصحاح (زجر).

(٩) القائل الأعشى ميمون بن قيس، وهو في ديوانه ص ٩٥ بنحوه.

(١٠) في الكشاف ٣٦/٤.

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ يعني: القرآن<sup>(١)</sup>، وهو بدل من «ما» من قوله: «مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ». ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف، أي: هو حكمة<sup>(٢)</sup>.

﴿فَمَا تُغْنِي النَّذْرُ﴾ إذا كَذَّبُوا وخالفوا، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup> [يونس: ١٠١] ف «مَا» نفي، أي: ليست تغني عنهم النذر. ويجوز أن يكون استفهاماً بمعنى التوبيخ، أي: فأَيُّ شيء تغني النذر عنهم وهم معرضون عنها<sup>(٤)</sup>. و«النُّذُرُ» يجوز أن تكون بمعنى الإنذار، ويجوز أن تكون جمع نذير<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أَعْرَضَ عَنْهُمْ<sup>(٦)</sup>. قيل: هذا منسوخ بآية السيف<sup>(٧)</sup>. وقيل: هو تمام الكلام.

ثم قال: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ العامل في «يَوْمَ»: «يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ»، أو «خُشْعَاءً»<sup>(٨)</sup>، أو فعل مضمّر تقديره: واذكر يوم. وقيل: على حذف حرف الفاء وما عملت فيه من جواب الأمر، تقديره: فتولَّ عنهم فإنَّ لهم يوم يدعو الداعي. وقيل: تولَّ عنهم يا محمّد، فقد أقمت الحجّة، وأبصرهم يوم يدعو الداعي. وقيل: أي أعرض عنهم يوم القيامة ولا تسأل عنهم وعن أحوالهم، فإنَّهم يدعون ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ وينالهم عذاب شديد. وهو كما تقول: لا تسأل عما جرى على فلان: إذا أخبرته بأمر عظيم. وقيل: أي: وكلّ أمر مستقرّ يوم يدعو الداعي.

وقرأ ابن كثير: «نُكْرٍ» بإسكان الكاف<sup>(٩)</sup>، وضمّها الباقون، وهما لغتان، كعُسر

(١) تفسير أبي الليث ٢٩٨/٣.

(٢) الكشاف ٣٦/٤.

(٣) تفسير البغوي ٢٥٩/٤.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٨٥/٥.

(٥) تفسير البغوي ٢٥٩/٤.

(٦) تفسير أبي الليث ٢٩٨/٣.

(٧) زاد المسير ٩٠/٨.

(٨) إعراب القرآن لمكي ٦٩٨/٢.

(٩) السبعة ص ٦١٧، والتيسير ص ٢٠٥.

وَعُسْرٌ، وَشُغْلٌ وَشُغْلٌ<sup>(١)</sup>، ومعناه: الأمر الفظيع العظيم، وهو يوم القيامة<sup>(٢)</sup>. والداعي هو: إسرافيل عليه السلام<sup>(٣)</sup>. وقد روي عن مجاهد وقتادة أنهما قرأا: «إِلَى شَيْءٍ نَكِرَ» بكسر الكاف وفتح الراء على الفعل المجهول<sup>(٤)</sup>.

﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ الخشوع في البصر: الخضوع والذلة، وأضاف الخشوع إلى الأبصار؛ لأنَّ أثر العزِّ والذلَّ يتبيَّن في ناظر الإنسان<sup>(٥)</sup>، قال الله تعالى: ﴿أَبْصَرُهَا خَنِيعًا﴾ [النازعات: ٩] وقال تعالى: ﴿خَشِيعِينَ مِنَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]. ويقال: خَشَعَ وَخَشَعَ إِذَا ذَلَّ. وَخَشَعَ بِيَصْرِهِ، أَي: غَضَّهُ<sup>(٦)</sup>.

وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو: «خَاشِعًا» بالألف<sup>(٧)</sup>، ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدَّمت على الجماعة التوحيد، نحو: «خَاشِعًا أَبْصَارُهُمْ» والتأنيث نحو: «خَاشِيعَةً أَبْصَارُهُمْ»<sup>(٨)</sup> ويجوز الجمع نحو: «خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ» قال:

وَشَبَابٍ حَسَنِ أَوْجُهُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍ<sup>(٩)</sup>  
و «خُشَعًا» جمع خاشع، والنصب فيه على الحال من الهاء والميم في «عَنْهُمْ» فيقبح الوقف على هذا التقدير على «عَنْهُمْ». ويجوز أن يكون حالاً من المضمر في

(١) حجة القراءات لابن زنجلة ص ٦٨٨ .

(٢) الكشاف ٣٦/٤ .

(٣) تفسير أبي الليث ٢٩٨/٣ .

(٤) القراءات الشاذة ص ١٤٧ ، والمحتسب ٢٩٨/٢ ، ونسباه إلى مجاهد والجحدري وأبي قلابة. وينظر البحر المحيط ١٧٥/٨ .

(٥) الكشاف ٣٦/٤ .

(٦) الصحاح (خشي).

(٧) السبعة ص ٦١٨ ، والتيسير ص ٢٠٥ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٨٦/٥ ، وما بعده منه، و«خاشعة» قراءة أبي وابن مسعود. القراءات الشاذة ص ١٤٧ .

(٩) القائل: أبو دؤاد الإيادي، وهو في ديوانه ص ٣٠٥ .

«يَخْرُجُونَ» فيوقف على «عَنَّهُمْ»<sup>(١)</sup>. وُقِرَى: «خُشِعَ أَبْصَارُهُمْ» على الابتداء والخبر، ومحلُّ الجملة النصب على الحال، كقوله:

حَاضِرَاهُ الْجُودُ وَالْكَرَمُ<sup>(٢)</sup>

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور، واحدها: جدث. ﴿كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ \* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾. وقال في موضع آخر: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] صفتان في وقتين مختلفين، أحدهما: عند الخروج من القبور، يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجّهون، فيدخل بعضهم في بعض، فهم حينئذٍ كالفراش المبثوث بعضه في بعض لا جهة له يقصدها. فإذا سمعوا المنادي قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر؛ لأنَّ الجراد له وجه يقصدها<sup>(٣)</sup>.

و«مُهْطِعِينَ» معناه: مسرعين، قاله أبو عبيدة. ومنه قول الشاعر:

بَدِجَلَةَ دَارُهُمْ وَلَقَدْ أَرَاهُمْ      بَدِجَلَةَ مُهْطِعِينَ إِلَى السَّمَاعِ<sup>(٤)</sup>  
الضحاك: مقبلين. قتادة: عامدين. ابن عباس: ناظرين. عكرمة: فاتحين آذانهم إلى الصوت<sup>(٥)</sup>. والمعنى متقارب.

يقال: هَطَعَ الرجلُ يَهْطَعُ هُطُوعًا: إذا أقبل على الشيء ببصره لا يُقْلِعُ عنه، وأهطع: إذا مدَّ عنقه وصَوَّبَ رأسه. قال الشاعر:

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي ٦٩٨/٢ ، وذكر الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٩١٣/٢ أن الوقف على «فتولَّى عنهم»: وقف غير تام.

(٢) الكشف ٣٦/٤ ، والقراءة في البحر المحيط ١٧٦/٨ ، والبيت للأخطل، وهو في ديوانه ص ٣٩ ، وروايته هكذا:

إذا أتيتَ أبا مروان تسالهُ      وجدته حاضراه الجود والحسبُ

(٣) المحرر الوجيز ٢١٣/٥ .

(٤) النكت والعيون ٤١١/٥ ، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢٤٠/٢ ، والبيت ليزيد بن مفرغ، وسلف ١٥٨/١٢ .

(٥) النكت والعيون ٤١١/٥ .

تَعَبَّدَنِي نَمْرُ بْنُ سَعْدٍ وَقَدْ أَرَى وَنَمْرُ بْنُ سَعْدٍ لِي مُطِيعٌ وَمُهْطِعٌ

وبعير مُهْطِعٌ: في عنقه تصويُّبٌ خِلْقَةٌ. وأهطع في عذوه، أي: أسرع<sup>(١)</sup>.

﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾ يعني: يوم القيامة؛ لما ينالهم فيه من الشدَّة<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿٢﴾ فَفَنَحْنَا أَيْدِيَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنَمَّرٍ ﴿٣﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٤﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرَ ﴿٥﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ ذكر جملاً من وقائع الأمم الماضية؛ تأنيساً للنبي ﷺ، وتعزية له. «قَبْلَهُمْ» أي: قبل قومك. ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ يعني: نوحاً<sup>(٣)</sup>. الرَّمْخَشَرِيُّ<sup>(٤)</sup>: فإن قلت: ما معنى قوله: «فَكَذَّبُوا» بعد قوله: «كَذَّبَتْ»؟ قلت: معناه: كَذَّبُوا فَكَذَّبُوا عبدنا، أي: كَذَّبُوهُ تَكْذِيباً على عقب تكذيب، كلما مضى منهم قَرْنٌ مَكْذُوبٌ تبعه قَرْنٌ مَكْذُوبٌ، أو كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الرِّسْلَ فَكَذَّبُوا عبدنا، أي: لما كانوا مَكْذِبِينَ بالرِّسْلِ جاحدين للنبوة رأساً، كَذَّبُوا نوحاً؛ لأنه من جملة الرِّسْلِ.

﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ أي: هو مجنون ﴿وَازْدُجِرَ﴾ أي: زجر عن دعوى النبوة بالسبِّ والوعيد بالقتل<sup>(٥)</sup>. وقيل: إنَّما قال: «وَازْدُجِرَ» بلفظ ما لم يُسَمَّ فاعله؛ لأنه رأس آية.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ أي: دعا عليهم حينئذٍ نوح وقال: رَبِّ ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ أي: غلبوني

(١) الصحاح (هطع)، والبيت ذكره الزمخشري في الكشاف ٣٧/٤، ولم ينسبه، ولم تقف على قائله.

(٢) النكت والعيون ٤١١/٥.

(٣) تفسير أبي الليث ٢٩٨/٣.

(٤) الكشاف ٣٧/٤.

(٥) تفسير البغوي ٢٦٠/٤.

بتمرُّدهم ﴿فَانْتَصَرَ﴾ أي: فانتصر لي<sup>(١)</sup>. وقيل: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا لَا يَدْعُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ بِالْهَلَاكِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ فِيهِ.

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ أي: فأجبنا دعاءه، وأمرناه باتخاذ السفينة، وفتحنا أبواب السماء ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ أي: كثير، قاله السُّدِّيُّ. قال الشاعر:

أَعْيَنِي جُودًا بِالدَّمْعِ الْهَوَامِرِ عَلَى خَيْرِ بَادٍ مِنْ مَعَدٍّ وَحَاضِرِ<sup>(٢)</sup>  
وقيل: إِنَّهُ الْمَنْصَبُ الْمَتَدَفَّقُ. ومنه قول امرئ القيس يصف غيًّا:

رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحَى فِيهِ شُؤْبُوبٌ جَنُوبٌ مُنْهَمِرٌ<sup>(٣)</sup>  
الهمر: الصَّبُّ. وقد هَمَرَ الماءُ والدَّمْعُ يَهْمِرُ هَمْرًا. وهَمَرَ أيضًا: إذا أكثر الكلام وأسرع. وهَمَرَ له من ماله، أي: أعطاه<sup>(٤)</sup>. قال ابن عباس: ففتحنا أبواب السماء بماء [مُنْهَمِرٍ] من غير سحب لم يقلع أربعين يوماً<sup>(٥)</sup>.

وقرأ ابن عامر ويعقوب: «فَفَتَّحْنَا» مشددة على التثنية. الباكون: «فَفَتَّحْنَا» مخففًا<sup>(٦)</sup>. ثم قيل: إِنَّهُ فَتَحَ رَتَا جِهَا وَسَعَةَ مَسَالِكِهَا. وقيل: إِنَّهُ الْمَجْرَةُ، وَهِيَ شَرَجُ السَّمَاءِ، وَمِنْهَا فَتَحَتْ بِمَاءٍ مِنْهَمِرٍ، قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه<sup>(٧)</sup>.

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ قال عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ أَنْ تُخْرِجَ

(١) المحرر الوجيز ٢١٤/٥.

(٢) النكت والعيون ٤١٢/٥ ، وما بعده منه أيضاً ، ولم تقف على قائل البيت.

(٣) ديوان امرئ القيس ص ١٤٥ ، قال شارحه: راح: يعني السحاب. وتمريه: تحركه وتديره. والصباب: أحمد الرياح عند العرب وأجلبها للخير. والشؤبوب: دفعة المطر وشدته.

(٤) الصحاح (همر) دون قوله: وهمر أيضاً: إذا أكثر الكلام وأسرع. فهو من تفسير أبي الليث ٢٩٩/٣.

(٥) عرائس المجالس ص ٥٨ بنحوه، وما بين حاصرتين لم يرد في النسخ الخطية.

(٦) تفسير أبي الليث ٢٩٩/٣ ، وقراءة ابن عامر في السبعة ص ٦١٨ ، والتيسير ص ١٠٢ ، وقراءة يعقوب في النشر ٢٥٨/٢.

(٧) النكت والعيون ٤١٢/٥ ، وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ٣٣٢٠/١٠ (١٨٧٠٤) والشَّرح: العُرْوَة. الصحاح (شرح).

ماءها، فتفجرت بالعيون، وإنَّ عيناً تأخرت، فغضب عليها فجعل ماءها مرّاً أجاجاً إلى يوم القيامة.

﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أي: ماء السماء وماء الأرض ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّ قَدْرٌ﴾ أي: على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر، حكاه ابن قتيبة<sup>(١)</sup>. أي: كان ماء السماء والأرض سواء. وقيل: «قُدْرٌ» بمعنى: قُضِيَ عليهم. قال قتادة: قَدَّرَ لهم إذا كفروا أن يُعْرَفُوا.

وقال محمد بن كعب: كانت الأقوات قبل الأجساد، وكان القَدْر قبل البلاء، وتلا هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وقال: «الْتَقَى الْمَاءُ» والالتقاء إنما يكون في اثنين فصاعداً؛ لأنَّ الماء يكون جمعاً وواحداً<sup>(٣)</sup>. وقيل: لأنَّهما لما اجتمعا صارا ماء واحداً<sup>(٤)</sup>.

وقرأ الجحدريُّ: «فَالْتَقَى الْمَاءَانِ». وقرأ الحسن: «فَالْتَقَى الْمَاوَانِ»<sup>(٥)</sup>. وهما خلاف المرسوم. القُشيريُّ: وفي بعض المصاحف: «فَالْتَقَى الْمَاوَانِ» وهي لغة طيء. وقيل: كان ماء السماء بارداً مثل الثلج، وماء الأرض حاراً مثل الحميم.

﴿وَحَمَلْنَهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْوَجِّ﴾ أي: على سفينة ذات ألواح<sup>(٦)</sup>. ﴿وَدُسِّرَ﴾ قال قتادة: يعني: المسامير التي دُسرَت بها السفينة، أي: سُدَّتْ، وقاله القُرظِيُّ وابن زيد وابن جبير<sup>(٧)</sup>، ورواه الوالبيُّ عن ابن عباس<sup>(٨)</sup>. وقال الحسن وشَهْر بن حَوْشَب وعكرمة:

(١) النكت والعيون ٤١٢/٥، وما بعده منه، وكلام ابن قتيبة في غريب القرآن له ص ٤٣٢.

(٢) أخرجه الطبري ١٢٣/٢٢.

(٣) تفسير البغوي ٢٦٠/٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٨/٤.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٤٧.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٨٧/٥.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٩/٤ عدا قول ابن جبير فنسبه إليه الماوردي في النكت والعيون ٤١٢/٥،

وأخرجه عنهم الطبري ١٢٣/٢٢ - ١٢٤.

(٨) زاد المسير ٩٣/٨.

هي صدر السفينة التي يضرب بها المَوْج، سُمِّيت بذلك؛ لأنها تَدُسُّر الماء، أي: تدفعه<sup>(١)</sup>. والدُّسْرُ: الدَّفْعُ<sup>(٢)</sup> والمَخْرُ. ورواه العَوْفِيُّ عن ابن عباس قال: الدُّسْرُ: كَلَّكَل السفينة<sup>(٣)</sup>.

وقال الليث: الدُّسَار: خيط من ليف تُشَدُّ به ألواح السفينة. وفي «الصحاح»<sup>(٤)</sup>: الدُّسَار واحد الدُّسْر: وهي خيوط تُشَدُّ بها ألواح السفينة. يقال: هي المسامير، وقال تعالى: «عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ». وَدُسْرٌ أَيْضاً مِثْلُ عُسْرٍ وَعُسْرٌ. والدُّسْرُ: الدَّفْعُ، قال ابن عباس في العنبر: إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَدُسُّرُهُ الْبَحْرُ دَسْرًا، أي: يدفعه. وَدَسَّرَ بِالرَّمْحِ، وَرَجَلَ مِدَسَّرَ.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى منَّا. وقيل: بأمرنا. وقيل: بحفظ منَّا وكِلاءة، وقد مضى في «هود»<sup>(٥)</sup>. ومنه قول الناس للمودِّع: عَيْنُ اللَّهِ عَلَيْكَ، أي: حفظه وكِلاءة. وقيل: بِوَحِينَا. وقيل: أي: بالأعين النابعة من الأرض<sup>(٦)</sup>. وقيل: بأعين أوليائنا من الملائكة الموكِّلين بحفظها<sup>(٨)</sup>، وكلُّ ما خَلَقَ اللَّهُ تعالى يمكن أن يُضَافَ إليه. وقيل: أي: تجري بأوليائنا، كما في الخبر: مرض عين من عيوننا فلم تَعُدْه<sup>(٩)</sup>.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٩/٤ وعزاه للحسن، وأخرجه عنه الطبري ١٢٤/٢٢، والنكت والعيون ٤١٢/٥ وعزاه لعكرمة.

(٢) الصحاح (دسر).

(٣) زاد المسير ٩٣/٨، وأخرجه عنه الطبري ١٢٥/٢٢.

(٤) (دسر)، وقول ابن عباس علَّقَه البخاري قبل حديث (١٤٩٨)، ووصله البيهقي في السنن الكبرى ١٤٦/٤.

(٥) ١٠٨/١١ - ١٠٩.

(٦) تفسير البغوي ٢٦٠/٤. ومذهب السلف إثبات العين لله تعالى بلا تشبه ولا تأويل ولا تمثيل على ما يليق به سبحانه وتعالى.

(٧) المحرر الوجيز ٢١٥/٥.

(٨) النكت والعيون ٤١٣/٥ على أن الصواب إثبات العين لله عز وجل على ما يليق بجلاله.

(٩) لم نقف عليه بهذا اللفظ، بل الوارد قوله ﷺ في الحديث القدسي عن ربِّ العزَّة: «مرضتُ فلم تَعُدْني..» وسلف ٤٣٨/٢.

﴿جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفْرًا﴾ أي: جعلنا ذلك ثواباً وجزاءً لنوح على صبره على أذى قومه، وهو المكفور به، فاللام في «لِمَن» لام المفعول له<sup>(١)</sup>. وقيل: «كُفْرًا» أي: جحد، و«من» كناية عن نوح<sup>(٢)</sup>. وقيل: كناية عن الله، والجزاء بمعنى العقاب، أي: عقاباً لكفرهم بالله تعالى<sup>(٣)</sup>.

وقرأ يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحميد: «جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفْرًا» بفتح الكاف والفاء<sup>(٤)</sup>، بمعنى: كان العَرَقُ جزاءً وعقاباً لمن كفر بالله<sup>(٥)</sup>.

وما نجا من الغرق غير عوج بن عنق، كان الماء إلى حُجْزته، وسبب نجاته أن نوحاً احتاج إلى خشبة السَّاج لبناء السفينة فلم يمكنه حملها، فحمل عُوجُ تلك الخشبة إليه من الشام، فشكر الله له ذلك، ونَجَّاه من الغرق<sup>(٦)</sup>.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ يريد هذه الفعلة عِبْرَةً<sup>(٧)</sup>. وقيل: أراد السفينة<sup>(٨)</sup>، تركها آيةً لمن بعد قوم نوح، يعتبرون بها فلا يكذبون الرسل. قال قتادة: أبقاها الله بَبَاقِرْدَى من أرض الجزية عبرةً وآيةً، حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رماداً<sup>(٩)</sup>.

(١) الكشف ٣٨/٤.

(٢) معاني القرآن للفراء ١٠٧/٣.

(٣) النكت والعيون ٤١٣/٥.

(٤) المحرر الوجيز ٢١٥/٥ دون ذكر مجاهد وحميد، والقراءة عن يزيد وقتادة في القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢٩٨/٢.

(٥) تفسير أبي الليث ٢٩٩/٣.

(٦) تفسير البغوي ٣٨٦/٢، والسَّاجُ: خشب يجلب من الهند، واحدته: ساجة. اللسان (سوج). والخبر من الإسرائيليات التالفة كما أشرنا إليه ٣٩٦/٧ - ٣٩٨.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٨٨/٥.

(٨) تفسير البغوي ٢٦١/٤.

(٩) النكت والعيون ٤١٣/٥، وأخرجه عنه الطبري ١٢٨/٢٢، وأبن أبي حاتم ٣٣٢٠/١٠ (١٨٧٠٩)، وباقِرْدَى: موضع بالجزيرة يقع شرقي دجلة، بالقرب من جبل الجودي. معجم ما استعجم ٢٢٢/١، ومعجم البلدان ٤٦٦/١، ٤٧٦.

﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ مُتَعَطَّ خَائِفٌ<sup>(١)</sup>، وأصله مُدْتَكِرٌ - مُفْتَعِلٌ - من الذُّكْر، فثقلت على الألسنة، فقلبت التاء دالاً؛ لتوافق الذال في الجهر، وأدغمت الدال فيها<sup>(٢)</sup>.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذارِي، قال الفراء: الإنذار والنذر مصدران<sup>(٣)</sup>. وقيل: «نُذِر» جمع نذير، ونذير بمعنى الإنذار، كتكبير بمعنى الإنكار<sup>(٤)</sup>.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهَّلناه للحفظ، وأعنا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه، فيعان عليه؟ ويجوز أن يكون المعنى: ولقد هيَّأناه للذِّكْر، من يَسَّر ناقتَه للسَّفَر: إذا رَحَّلها، وَيَسَّر فرسه للغزو، إذا أسرجه وألجمه، قال:

وَقُمْتُ إِلَيْهِ بِاللَّجَامِ مُيَسَّرًا هُنَالِكَ يَجْزِينِي الَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ<sup>(٥)</sup>

وقال سعيد بن جبير: ليس من كتب الله كتاباً يقرأ كلُّه ظاهراً إلا القرآن<sup>(٦)</sup>. وقال غيره: ولم يكن هذا لبني إسرائيل، ولم يكونوا يقرؤون التوراة إلا نظراً، غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله عليهم، ومن أجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلب حين أحرقت، على ما تقدّم بيانه في سورة «براءة»<sup>(٧)</sup> فيسّر الله تعالى على هذه الأمة حفظ كتابه ليذكروا ما فيه، أي: يفتعلوا الذِّكْر، والافتعال هو أن ينجع فيهم ذلك حتى يصير كالذات وكالتركيب فيهم.

﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ قارئ يقرؤه. وقال أبو بكر الورّاق وابن شوذب: فهل من طالب

(١) تفسير البغوي ٤/٢٦١.

(٢) إعراب القرآن لمكي ٢/٦٩٧.

(٣) ونقله عنه البغوي ٤/٢٦١.

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٢.

(٥) الكشاف ٤/٣٨، والبيت للأعرج عدي بن عمرو الطائي المعنى، وهو في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٣٥١.

(٦) تفسير البغوي ٤/٢٦١، والوسيط ٤/٢٠٩.

(٧) ١٧٣/١٠، وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/٨٨.

خير وَعِلْمٌ فَيُعَانُ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>، وكرّر في هذه السورة؛ للتنبية والإفهام. وقيل: إن الله تعالى اقتصّ في هذه السورة على هذه الأمة أنباء الأمم وقصص المرسلين، وما عاملتهم به الأمم، وما كان من عقبى أمورهم وأمور المرسلين، فكان في كل قصة ونبأ ذكراً للمستمع أن لو أذكر، وإنما كرّر هذه الآية عند ذكر كل قصة بقوله: «فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» لأن «هَلْ» كلمة استفهام تستدعي أفهامهم التي ركبت في أجوافهم، وجعلها حجة عليهم، فاللام من «هَلْ» للاستعراض، والهاء للاستخراج.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنَذِيرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحِيسَ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ تَحَلٍ مُتَفَعِّرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنَذِيرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ هم قوم هود. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنَذِيرٍ﴾ وقعت «نذُر» في هذه السورة في ستة أماكن محذوفة الياء في جميع المصاحف، وقرأها يعقوب مثبتة في الحاليين، وورش في الوصل لا غير، وحذف الباقيون. ولا خلاف في حذف الياء من قوله: «فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ» [الآية: ٥] والواو من قوله: «يَدْعُ». فأما الياء من «الدَّاعِ» الأول فأثبتها في الحاليين ابنُ مُحَيصن ويعقوب وحُميد والبرزنجي، وأثبتها ورش وأبو عمرو في الوصل، وحذف الباقيون. وأما «الدَّاعِ» الثانية فأثبتها يعقوب وابنُ مُحَيصن وابنُ كثير في الحاليين، وأثبتها أبو عمرو ونافع في الوصل، وحذفها الباقيون<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: شديدة البرد، قاله قتادة والضحاك<sup>(٣)</sup>. وقيل: شديدة الصوت<sup>(٤)</sup>. وقد مضى في «حم» السجدة<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الدارمي (٣٤٧)، والطبري ١٣٢/٢٢، و أبو نعيم في الحلية ٧٦/٣ من طريق ابن شوذب، عن مطر الوراق، وأورده الماوردي في النكت والعيون ٤١٣/٥ ونسبه لقتادة، وأخرجه عنه الطبري ١٣١/٢٢.

(٢) السبعة ص ٦١٧ - ٦١٨، والتيسير ص ٢٠٦، والنشر ١٣٨/٢، ١٤١، ٣٨٠.

(٣) النكت والعيون ٤١٤/٥، وأخرجه عنهما الطبري ١٣٣/٢٢.

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٢.

(٥) عند الآية (١٦).

﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ أي: في يوم كان مشؤماً عليهم. وقال ابن عباس: أي: في يوم كانوا يتشاءمون به<sup>(١)</sup>. الزجّاج<sup>(٢)</sup>: قيل: في يوم الأربعاء. ابن عباس: كان آخرَ الأربعاء في الشهر، أفنى صغيرهم وكبيرهم.

وقرأ هارون الأعمور: «نَحْسٌ» بكسر الحاء<sup>(٣)</sup>، وقد مضى القول فيه في «حم» السجدة: ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ [الآية: ١٦].

و«فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ» أي: دائم الشؤم، استمرَّ عليهم بنحوسه<sup>(٤)</sup>، واستمرَّ فيه العذاب إلى الهلاك. وقيل: استمرَّ بهم إلى نار جهنّم<sup>(٥)</sup>. وقال الضحّاك: كان مرّاً عليهم<sup>(٦)</sup>. وكذا حكى الكسائي أنّ قوماً قالوا: هو من المرارة، يقال: مرّ الشيء وأمر<sup>(٧)</sup>، أي: كان كالشيء المرّ تكرهه النفوس. وقد قال: «فَذُوقُوا» والذي يُذاق قد يكون مرّاً. وقد قيل: هو من المرّة، بمعنى القوّة<sup>(٨)</sup>. أي: في يوم نحس مستمرّ مستحکم الشؤم، كالشيء المحكم القتل الذي لا يُطاق نقضه.

فإن قيل: فإذا كان يوم الأربعاء يومَ نحس مستمرّ، فكيف يُستجاب فيه الدعاء؟ وقد جاء أنّ النبي ﷺ استجيب له فيه فيما بين الظهر والعصر. وقد مضى في «البقرة»<sup>(٩)</sup> حديث جابر بذلك؟ فالجواب - والله أعلم - ما جاء في خبر يرويه مسروق عن النبي ﷺ أنّه قال: «أتاني جبريل فقال: إنّ الله يأمرك أن تقضي باليمين مع الشاهد،

(١) الوسيط ٢١٠/٤.

(٢) في معاني القرآن له ٨٩/٥.

(٣) لم تقف عليها.

(٤) زاد المسير ٩٥/٨.

(٥) أخرجه الطبري ١٣٥/٢٢ عن قتادة.

(٦) المحرر الوجيز ٢١٦/٥.

(٧) الصحاح (مرر).

(٨) تهذيب اللغة ١٩٦/١٥.

(٩) ١٨٤/٣.

وقال: يوم الأربعاء يوم نحس مستمر<sup>(١)</sup>. ومعلوم أنه لم يرد بذلك أنه نحس على الصالحين<sup>(٢)</sup>، بل أراد أنه نحس على الفجّار والمفسدين، كما كانت الأيام النحسات المذكورة في القرآن، نحسات على الكفار من قوم عادٍ لا على نبيهم والمؤمنين به منهم، وإذا كان كذلك لم يبعد أن يمهل الظالم من أوّل يوم الأربعاء إلى أن تزول الشمس، فإذا أدبر النهار ولم يحدث رجعة<sup>(٣)</sup>، استجيب دعاء المظلوم عليه، فكان اليوم نحساً على الظالم، ودعاء النبي ﷺ إنّما كان على الكفار، وقول جابر في حديثه<sup>(٤)</sup>: لم ينزل بي أمر غليظ؛ إشارة إلى هذا، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿تَزِعُ النَّاسَ﴾ في موضع الصفة للريح، أي: تَقْلَعُهُمْ من مواضعهم<sup>(٥)</sup>.

قيل: قلعتههم من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصلها<sup>(٦)</sup>. وقال مجاهد: كانت تقلعهم من الأرض، فترمي بهم على رؤوسهم فتندق أعناقهم وتبين رؤوسهم عن

(١) لم نقف عليه من رواية مسروق، وأخرجه ابن عدي في الكامل ٢٣٨/١ من طريق إبراهيم بن أبي حية، عن أبيه، عن النبي ﷺ مرسلأ، وابن حبان في المجروحين ١٠٤/١، والبيهقي في السنن الكبرى ١٧٠/١٠ من طريق إبراهيم بن أبي حية، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله مرفوعاً. قال ابن حبان: إبراهيم بن أبي حية يروي عن جعفر وهشام مناكير.

وأخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل ١٨٨٣/٥ من طريق عيسى بن عبد الله، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن علي موقوفاً. وعيسى بن عبد الله هو: عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، الكوفي، قال عنه ابن حبان في المجروحين ١٢١/٢: يروي عن أبيه، عن آبائه أشياء موضوعة.

(٢) في (د) و(ف) و(م): المصلحين، والمثبت من (ظ) و(ك)، والمنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٥٣٦/١ والكلام منه.

(٣) في المنهاج: ولم تحدث رجعة.

(٤) السالف ١٨٤/٣، والذي أشار إليه القرطبي آنفاً.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٣.

(٦) تفسير أبي الليث ٣٠٠/٣.

أجسادهم<sup>(١)</sup>. وقيل: تنزع الناس من البيوت. وقال محمد بن كعب عن أبيه: قال النبي ﷺ: «انتزعت الريحُ الناسَ من قبورهم»<sup>(٢)</sup>. وقيل: حفروا حُفراً ودخلوها، فكانت الريح تنزعهم منها وتكسرهم، وتبقى تلك الحفر كأنها أصول نخل قد هلك ما كان فيها، فتبقى مواضعها منقعة<sup>(٣)</sup>.

ويروى أن سبعةً منهم حفروا حفراً وقاموا فيها ليردوا الريح. قال ابن إسحاق: لما هاجت الريح قام نفرٌ سبعة من عادٍ سُمِّي لنا منهم ستةٌ من أيدٍ<sup>(٤)</sup> عادٍ وأجسمها، منهم عمرو بن الحلي، والحارث بن شداد، والهلقام، وابنا تيقن<sup>(٥)</sup>، وخلجان بن سعد، فأولجوا العيالَ في شُعب بين جبلين، ثم اصطفوا على باب الشُعب ليردوا الريح عمَّن في الشُعب من العيال، فجعلت الريح تجعفهم<sup>(٦)</sup> رجلاً رجلاً، فقالت امرأة من عادٍ:

ذهبَ الدهرُ بعمرِوبِ      نِ حليٍّ والهزياتِ  
ثم بالحارث والهيد      قامَ طلاعِ الثزياتِ  
والذي سدَّ مهبَّ الر      يح أيامَ البلياتِ

الطبري<sup>(٧)</sup>: في الكلام حذف، والمعنى: تنزع الناس فتتركهم كأنهم أعجاز نخل منقعة، فالكاف في موضع نصب بالمحذوف. الزجاج<sup>(٨)</sup>: الكاف في موضع نصب

(١) المحرر الوجيز ٢١٦/٥.

(٢) تفسير البغوي ٢٦١/٤ دون عزو، ولم نقف عليه عند غيره.

(٣) المحرر الوجيز ٢١٦/٥.

(٤) في (م): أشد. والمثبت من النسخ والطبري ١٣٥/٢٢، والكلام منه، والأبيات الآتية منه أيضاً، والأيد: القوي. التاج (أيد).

(٥) في الطبري: تيقن.

(٦) جعفه: صرعه، وضرب به الأرض. اللسان (جعف).

(٧) في التفسير ١٣٨/٢٢، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٦٩٩/٢.

(٨) في معاني القرآن له ٨٩/٥.

على الحال، والمعنى: تنزع الناس مشبهين بأعجاز نخل. والتشبيه قيل: إنه للحُفَر التي كانوا فيها<sup>(١)</sup>.

والأعجاز جمع عَجْز: وهو مؤخَّر الشيء<sup>(٢)</sup>. وكانت عاد موصوفين بطول القامة، فشَبَّهوا بالنخل انكَبَّت لوجوهها. وقال: «أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» للفظ النخل، وهو من الجمع الذي يذكَر ويؤنث<sup>(٣)</sup>. والمنقعر: المنقلع من أصله، قعرتُ الشجرة قعراً: قلعْتُها من أصلها فانقعرت. الكسائي: قعرتُ البئر، أي: نزلتُ حتى انتهيتُ إلى قعرها، وكذلك الإناء إذا شربت ما فيه حتى انتهيت إلى قعره. وأقعرتُ البئر: جعلتُ لها قعراً<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو بكر بن الأنباري: سئل المبرِّد بحضرة إسماعيل القاضي عن ألف مسألة هذه من جملتها، ف قيل له: ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْنَا نَمَسَّ وَجْهَهُ مِنَ الْهُجُرُمَاتِ وَالنَّخْلِ لَسًا﴾ [الأنبياء: ٨١] و﴿جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]، وقوله: ﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] و﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] فقال: كلُّ ما وَرَدَ عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيراً، أو إلى المعنى تأنيثاً. وقيل: إنَّ النخل والنخيل بمعنى يذكَر ويؤنث كما ذكرنا. ﴿كَفَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي . وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ تقدم.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَبِّعُهُمْ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَلَيْسَ أَلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ مِنَ الْكَذَّابِ أَلْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ هم قوم صالح كذبوا الرسل ونبئهم، أو كذبوا بالآيات التي هي النذر ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَبِّعُهُمْ﴾ وندعُ جماعة<sup>(٥)</sup>.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٩٢.

(٢) الصحاح (عجز).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٩١.

(٤) الصحاح (قعر).

(٥) تفسير الطبري ٢٢/١٣٩.

وقرأ أبو الأشهب وابن السَّمِيفَع وأبو السَّمَال العدويُّ: «أَبَشْرٌ» بالرفع «وَاحِدٌ» كذلك رفع بالابتداء، والخبر: «نَتَّبَعُهُ». الباقون بالنصب على معنى: أَنتَبَعَ بشراً مَنَّا واحداً نتبعه. وقرأ أبو السَّمَال: «أَبَشْرٌ» بالرفع «مِنَّا واحداً» بالنصب، رفع «أَبَشْرٌ» بإضمار فعل يدلُّ عليه «أَوْقِيِي» كأنه قال: أَيْنَبَأَ بَشْرٌ مَنَّا، وقوله: «وَاحِدًا» يجوز أن يكون حالاً من المضممر في «مِنَّا» والناصب له الظرف، والتقدير: أَيْنَبَأَ بَشْرٌ كائناً مَنَّا منفرداً، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في «نَتَّبَعُهُ» منفرداً لا ناصر له<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَلٍ﴾ أي: ذهب عن الصواب<sup>(٢)</sup> ﴿وَسُعْرٍ﴾ أي: جنون، من قولهم: ناقة مسعورة<sup>(٣)</sup>، أي: كأنها من شدة نشاطها مجنونة<sup>(٤)</sup>، ذكره ابن عباس<sup>(٥)</sup>. قال الشاعر يصف ناقته:

تَخَالُ بِهَا سُعْرًا إِذَا السَّفَرُ هَزَّهَا      ذَمِيلٌ وَإِيقَاعٌ مِنَ السَّيْرِ مُتَعِبٌ<sup>(٧)</sup>  
وقال ابن عباس أيضاً: السُّعْرُ: العذاب<sup>(٨)</sup>، وقاله الفراء<sup>(٩)</sup>. مجاهد: بعد من

(١) المحتسب ٢/٢٩٨، وإعراب القرآن للنحاس ٤/٢٩٣، والكشاف ٤/٣٩، والمحزر الوجيز ٥/٢١٧، والبحر المحيط ٨/١٧٩.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/١٣٩.

(٣) الكشاف ٤/٣٩.

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٣.

(٥) الوسيط ٤/٢١١، وزاد المسير ٨/٩٦.

(٦) في (د)، و(ظ): العيس، وفي (ف): الشعر، والمثبت من (ك) و(م).

(٧) أورده الزمخشري في الكشاف ٤/٣٩ وروايته:

كَأَن بِهَا سَعْرًا إِذَا الْعَيْسُ هَزَّهَا      ذَمِيلٌ وَإِرْحَاءٌ مِنَ السَّيْرِ مُتَعِبٌ

وجاء بهامش (ك) وبعد البيت في (م): «الذميل: ضرب من سير الإبل. قال أبو عبيد: إذا ارتفع السير عن العنق قليلاً فهو التزيُّد، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل، ثم الرسيم، يقال: ذَمَلٌ يَذْمُلُ وَيَذْمُلُ ذَمِيلًا. قال الأصمعي: ولا يذْمُلُ بعير يوماً وليلاً إلا مَهْرِيَّ. قاله الجوهري. اهـ. الصحاح (ذمل).

(٨) تفسير البغوي ٤/٢٦١.

(٩) في معاني القرآن له ٣/١٠٨.

الحق<sup>(١)</sup>. السدي: في احتراق<sup>(٢)</sup>. قال:

أصْحوتَ اليَوْمَ أُمُّ شَاقُتِكَ هِرَّ      وَمِنَ الحُبِّ جُنُونٌ مُسْتَعِرٌ<sup>(٣)</sup>

أي: متقد ومحترق. أبو عبيدة<sup>(٤)</sup>: هو جمع سعير، وهو لهيب النار. والبعير المجنون يذهب كذا وكذا لما يتلهب به من الحدة. ومعنى الآية: إننا إذا لفي شقاء وعناء مما يلزمتنا.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَلْمِ الذِّكْرُ عَلَيَّ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي: خُصَّصَ بالرسالة من بين آل ثمود، وفيهم من هو أكثر مالاً وأحسن حالاً؟! وهو استفهام معناه الإنكار<sup>(٥)</sup>. ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ أي: ليس كما يدعيه، وإنما يريد أن يتعاطم ويلتمس التكبر علينا من غير استحقاق. والأشْر: المَرَح والتَجْبِير<sup>(٦)</sup> والنَّشَاط<sup>(٧)</sup>. يقال: فرس أشير، إذا كان مرحاً نشيطاً، قال امرؤ القيس يصف كلباً:

فِي دَرَكِنَا فَنَمُّ دَاجِنٌ      سَمِيعٌ بِصِيرٍ طَلُوبٌ نَكِرٌ  
أَلْسُ الضُّرُوسِ حَنِيٌّ الضُّلُوعِ      تَبُوعٌ أَرِيبٌ نَشِيطٌ أَشِرٌ<sup>(٨)</sup>

وقيل: «أشير» بَطْر. والأشْر: البَطْر، قال الشاعر:

(١) في تفسير مجاهد ٦٣٧/٢: السعير: الضلال أيضاً.

(٢) النكت والعيون ٤١٥/٥، وفيه: الافتراق، بدل: الاحتراق.

(٣) القائل طرفة بن العبد، وهو في ديوانه ص ٥٠.

(٤) في مجاز القرآن له ٢٤١/٢.

(٥) تفسير الطبري ١٤٠/٢٢ بنحوه.

(٦) تفسير البغوي ٢٦٢/٤.

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٤١/٢.

(٨) ديوان امرئ القيس ص ١٦٠ - ١٦١، وفيه: أريب، بدل: طلبوب، قال شارحه: الفَعْم: المولع بالشيء الحريص عليه. وداجن: آلف، قد عاود الصيد غير مرة. وألسُ الضروس: ملتصقة بعضها إلى بعض. وحنِيُّ الضلوع: ضلوعه منحنية معطوفة.

أَشْرْتُمْ بَلْبَسَ الْحَزْلَ لَمَّا لَبِسْتُمْ      وَمِنْ قَبْلُ مَا تَذَرُونَ مَنْ فَتَحَ الْقُرَى<sup>(١)</sup>  
وقد أشرَ بالكسر يَأْشُرُ أَشْرًا، فهو أَشِرٌ وَأَشْرَانٌ، وقوم أَشَارِي مثل سَكْرَانِ  
وَسُكَّارِي، قال الشاعر:

وَحَلَّتْ وَغُولًا أَشَارِي بِهَا      وَقَدْ أَزْهَفَ الطَّعْنَ أَبْطَالَهَا<sup>(٢)</sup>  
وقيل: إنه المتعدِّي إلى منزلة لا يستحقُّها<sup>(٣)</sup>، والمعنى واحد. وقال ابن زيد  
وعبد الرحمن بن حمَّاد: الأَشِيرُ: الذي لا ييالي ما قال<sup>(٤)</sup>.

وقرأ أبو جعفر وأبو قلابة: «أَشْرُ» بفتح الشين وتشديد الراء<sup>(٥)</sup>، يعني به: أَشْرْنَا  
وأخبشنا.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ أي: سيرون العذاب يوم القيامة، أو في حال نزول العذاب بهم  
في الدنيا<sup>(٦)</sup>.

وقرأ ابن عامر وحمزة بالتاء، على أنه من قول صالح لهم على الخطاب. الباقون  
بالياء؛ إخبار من الله تعالى لصالح عنهم<sup>(٧)</sup>.

وقوله: «غَدًا» على التقريب على عادة الناس في قولهم للعواقب: إنَّ مع اليوم  
غَدًا<sup>(٨)</sup>، قال:

(١) النكت والعيون ٤١٥/٥، ولم ينسبه.

(٢) الصحاح (أشر)، قال ابن برِّي في التنبيه والإيضاح ٧٨/٢: البيت لميَّة بنت ضرار الضبيَّة ترثي أخاها،  
وأزهف الطعنُ أبطالها: أي: صرَّعها.

(٣) النكت والعيون ٤١٥/٥.

(٤) أخرجه الطبري ١٤٠/٢٢ عن عبد الرحمن بن أبي حماد.

(٥) ذكرها العكبري في إملاء ما منَّ به الرحمن ٣٦٦/٤ - ٣٦٧، والفخر الرازي ٥١/٢٩ ولم ينسبها.

(٦) الوسيط ٢١١/٤.

(٧) تفسير أبي الليث ٣٠٠/٣، والقراءة في السبعة ص ٦١٨، والتيسير ص ٢٠٦.

(٨) تفسير البغوي ٢٦٢/٤.

للموتِ فيها سِهامٌ غيرُ مُخِطَّةٍ      مَنْ لَمْ يَكُنْ مَيِّتاً فِي الْيَوْمِ مَاتَ غَدًا<sup>(١)</sup>  
وقال أبو الطَّمْحَان<sup>(٢)</sup>:

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ نَوْحِ النَّوَائِحِ      وَقَبْلَ اضْطِرَابِ النَّفْسِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ  
وقَبْلَ غَدِيَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدِي      إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَائِحِ  
إنَّمَا أَرَادَ وَقْتَ الْمَوْتِ، وَلَمْ يُرِدْ غَدًا بَعِينَهُ.

﴿مَنْ الْكَذَّابُ الْأَثِيرُ﴾ وقرأ أبو قلابة: «الأشُرُّ» بفتح الشين وتشديد الراء<sup>(٣)</sup>، جاء به على الأصل. قال أبو حاتم: لا تكاد العرب تتكلم بالأشُرِّ والأخِيرِ إلا في ضرورة الشعر، كقول رؤبة:

بِلَالٍ خَيْرِ النَّاسِ وَابْنِ الْأَخِيرِ<sup>(٤)</sup>

وإنما يقولون: هو خير قومه، وهو شرُّ الناس، قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا﴾ [مريم: ٧٥]. وعن أبي حيوة: بفتح الشين وتخفيف الراء<sup>(٥)</sup>. وعن مجاهد وسعيد بن جبير: ضمُّ الشين والراء والتخفيف<sup>(٦)</sup>، قال النحاس: وهو معنى «الأشِر» ومثله: رجل حَذِرٌ وحَذْرٌ.

(١) القائل أبو العتاهية، وهو في ديوانه ص ١١١، وجاءت رواية عجزه هكذا:

من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

(٢) في النسخ الخطية: أبو الطماح، وفي (م): الطرِمَاح. والمثبت من مصادر التخريج، فاليبتان ذكرهما المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٣/١٢٦٦، والبصري في الحماسة البصرية ١/١٣٢، ونسبهما إلى أبي الطَّمْحَانِ القيني، وجاء فيه: صدح، بدل: نوح. وارتقاء، بدل: اضطراب. وذكرهما ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٣/٢٤٨ ونسبهما إلى هذبة العذري، وفيه: اطلاع، بدل: اضطراب. ولم نقف على البيتين في ديوان الطرماح.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/٢٩٩.

(٤) ذكره ابن جنّي في المحتسب ٢/٢٩٩، ولم نقف عليه في ديوان رؤبة ولا العجاج.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٤٨.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحتسب ٢/٢٩٩، والبحر المحيط ٨/١٨٠.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَبِنَّةٌ لَهُمْ فَأَرْزَقْنَهُمْ وَأَصْطَبِرُ ﴿٢٧﴾ وَبَيْنَهُمْ أَنْ الْمَاءَ قَسَمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُخَضَّرٌ ﴿٢٨﴾ فَادَا صَاحِبِهِمْ فَنَاعَلَى فَمَقَرَّ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايَ وَنَذِرِ ﴿٣٥﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْحُمْطِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ﴾ أي: مخرجوها من الهضبة التي سألوها، فروي أنّ صالحاً صلى ركعتين ودعا، فانصدعت الصخرة التي عيّنوها عن سنامها، فخرجت ناقةٌ عُشراء جرداء<sup>(١)</sup>. ﴿فَبِنَّةٌ لَهُمْ﴾ أي: اختباراً، وهو مفعول له<sup>(٢)</sup>. ﴿فَأَرْزَقْنَهُمْ﴾ أي: انتظر ما يصنعون. ﴿وَأَصْطَبِرُ﴾ أي: اصبر على أذاهم<sup>(٣)</sup>، وأصل الطاء في اصطبر تاء، فتحوّلت طاء؛ لتكون موافقة للصاد في الإطباق<sup>(٤)</sup>.

﴿وَبَيْنَهُمْ﴾: أي: أحيرهم ﴿أَنَّ الْمَاءَ قَسَمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين آل ثمود وبين الناقة، لها يوم ولهم يوم<sup>(٥)</sup>، كما قال تعالى: ﴿لَمَّا شَرِبُوا وَلَكُرَّ شَرِبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥] قال ابن عباس: كان يوم شربهم لا تشرب الناقة شيئاً من الماء، وتسقيهم لبناً، وكانوا في نعيم، وإذا كان يوم الناقة شربت الماء كله، فلم تُبقِ لهم شيئاً<sup>(٦)</sup>. وإنما قال: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لأنّ العرب إذا أخبروا عن بني آدم مع البهائم، غلبوا بني آدم<sup>(٧)</sup>.

وروى أبو الزبير عن جابر قال: لما نزلنا الحجرَ في مغزى رسول الله ﷺ تبوك، قال: «أيّها الناس لا تسألوا في هذه الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوها نبيهم أن يبعث الله

(١) عرائس المجالس ص ٦٨، وفيه: وبراء، بدل: جرداء، وكذا جاءت في (م).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٨٩/٥.

(٣) الوسيط ٢١١/٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٤/٤.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٣.

(٦) الوسيط ٢١١/٤.

(٧) تفسير البغوي ٢٦٢/٤.

لهم ناقة، فبعث الله عزَّ وجلَّ إليهم الناقة، فكانت تَرُدُّ من ذلك الفجَّ فتشرب ماءهم يوم وردها، ويحلبون منها مثل الذي كانوا يشربون يوم غبها» وهو معنى قوله تعالى: «وَبَيَّهْمُ أَنْ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

﴿كُلُّ شَرِبٍ تُحَضَّرُ﴾ الشُّرْبُ - بالكسر - الحَظُّ من الماء، وفي المثل: آخرها أقلها شرباً. وأصله في سقي الإبل؛ لأنَّ آخرها يَرُدُّ وقد نُزِفَ الحوضُ<sup>(٢)</sup>.

ومعنى «مُحْتَضَّرٌ» أي: يحضُّره مَنْ هو له، فالناقة تُحَضِّرُ الماءَ يومَ وردها، وتغيب عنهم يومَ وِردهم، قاله مقاتل. وقال مجاهد: إنَّ ثمودَ يحضرون الماءَ يومَ غبها فيشربون، ويحضرون اللبنَ يومَ وردها فيحتلبون<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَادَاؤًا صَاجِمًا﴾ يعني بالحضُّ على عَقْرِهَا ﴿فَعَاطَى﴾ عَقْرَهَا ﴿فَمَقَرَّ﴾ هَا، ومعنى تعاطى: تناول الفعل، من قولهم: عَطَوْتُ، أي: تناولتُ<sup>(٤)</sup>، ومنه قول حسان:

كَلَّتَاهُمَا حَلْبُ الْعَصِيرِ فَعَاطِنِي      بزجاجةٍ أرخاهما للمِفْصَلِ<sup>(٥)</sup>

قال محمد بن إسحاق: فَكَمِنَ لها في أصل شجرة على طريقها، فرماها بسهم فانظمت به عَصَلَةٌ ساقها، ثم شدَّ عليها بالسيف فكشف عُقُوبَهَا، فخرَّت ورَغَت رُغَاءَةً

(١) النكت والعيون ٤١٥/٥، وعرائس المجالس ص ٧٣، والحديث أخرجه أحمد (١٤١٦٠)، والبيزار (١٨٤٤) كشف الأستار، والطبري ٢٩٦/١٠، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٧٥٥) من طريق ابن خُنَيْم، والطبراني في الأوسط (٩٠٦٥) من طريق ابن لهيعة، كلاهما عن أبي الزبير، عن جابر بنحوه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٤/٦ و ٣٨/٧: رواه أحمد والبيزار والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) الصحاح (شرب)، والمثل في مجمع الأمثال للميداني ٤١/١ - ٤٢.

(٣) النكت والعيون ٤١٦/٥، وخبر مجاهد في تفسيره ٦٣٧/٢.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٥/٤.

(٥) ديوان حسان ص ١٨١، قال البغدادي في خزانة الأدب ٣٨٩/٤: كَلَّتَاهُمَا... إلخ. أراد كلتا الممزوجة والصرف، حلب العنب، فناولني أشدهما إرخاء وهي الصرف. والحلب: بمعنى المحلوب. والمفصل: روي بكسر الميم وفتح الصاد، وهو اللسان، لأنه آلة يُفْصَلُ به، ويروي بفتح الميم وكسر الصاد، وهو موضع انفصال العضو.

واحدة تَحَدَّرَ سَقْبُهَا من بطنها، ثم نَحَرَهَا وانطلق سَقْبُهَا، حتى أتى صخرة في رأس جبل فرغا ثم لاذَ بِهَا، فأتاهم صالح عليه السلام، فلما رأى الناقة قد عُقِرَتْ، بكى وقال: قد انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله<sup>(١)</sup>. وقد مضى في «الأعراف»<sup>(٢)</sup> بيان هذا المعنى. قال ابن عباس: وكان الذي عقرها: أحمر أزرق أشقر أكشف أفضى<sup>(٣)</sup>. ويقال في اسمه: قَدَار بن سالف. وقال الأفوه الأودي:

أَوْ قَبْلَهُ كَقَدَارٍ حِينَ تَابَعَهُ عَلَى الْغَوَايَةِ أَقْوَامٌ فَقَدِ بَادُوا  
وَالعرب تسمي الجَرَّارَ قَدَاراً؛ تشبيهاً بقَدَار بن سالف مشؤم آلِ ثمودَ، قال  
مُهلهيل:

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رُؤُوسَهُمْ ضَرْبَ الْقُدَّارِ نَقِيعَةَ الْقُدَّامِ<sup>(٤)</sup>  
وذكره زهير فقال:

فَتُنْتَجِجُ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشَامَ كُلَّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَفْطِمُ<sup>(٥)</sup>  
يريد: الحرب، فكنتي عن ثمود بعداد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَجِدَّةً﴾ يريد صيحة جبريل عليه السلام، وقد مضى في «هود»<sup>(٦)</sup>. ﴿فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْحَظِيرِ﴾ وقرأ الحسن وقتادة وأبو العالية: «المَحْتَظَر» بفتح الظاء<sup>(٧)</sup>، أرادوا الحظيرة. الباقون بالكسر، أرادوا صاحبَ الحظيرة.

(١) النكت والعيون ٤١٦/٥ .

(٢) ٢٧٠/٩ .

(٣) النكت والعيون ٤١٦/٥ ، وما بعده منه، والبيت في زهر الأكم لليوسي ٢٧٥/٢ ، وفيه: أو بعده، بدل: أو قبله.

(٤) المحرر الوجيز ٢١٨/٥ ، والبيت في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ٧١/٣ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/١٠٢٥ . قال أبو حيان: والقُدَّام: رؤساء الجيوش، والواحد: قادم. وقال المرزوقي: والنقِيعَة: بعير ينحره رئيس القوم قبل القسمة فيطعمه الناس كذلك.

(٥) شرح ديوان زهير ص ٢٠ ، قال شارحه: تُنتَجِجُ: يعني الحرب. غلمان أشام: غلمان شؤم. أي: كلهم في الشؤم كأحمر عاد، وإنما أراد أحمر ثمود. ثم ترضع فتفطم: يريد أنه يبيم أمر الحرب، كالمرأة إذا أرضعت ثم فطمت فقد تممت.

(٦) ١٥٦/١١ .

(٧) القراءات الشاذة ص ١٤٨ ، والمحاسب ٢٩٩/٢ ، والمحرر الوجيز ٢١٨/٥ .

وفي «الصحاح»<sup>(١)</sup> والمحتظر: الذي يعمل الحظيرة. وقرئ: «كَهَشِيمِ المحتظر» فمن كسره جعله الفاعل، ومن فتحه جعله المفعول به. ويقال للرجل القليل الخير: إنَّه لَنَكِيدُ الحَظِيرَةَ. قال أبو عبيد: أراه سَمَّى أمواله حظيرة؛ لأنَّه حظرها عنده ومنَعها، وهي فعيلة بمعنى مفعولة<sup>(٢)</sup>.

المهدويُّ: من فتح الظاء من «المحتظر» فهو مصدر، والمعنى: كهشيم الاحتظار. ويجوز أن يكون «المحتظر» هو الشجر المتَّخذ منه الحظيرة. قال ابن عباس: «المحتظر»: هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك، فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم<sup>(٣)</sup>. قال:

أُثِرْنَ عَاجَةً كدخانِ نارٍ      تشبُّ بعَرَقِ دِبالِ هَشِيمِ<sup>(٤)</sup>

وعنه: كحشيش تأكله الغنم. وعنه أيضاً: كالعظام النخرة المحترقة، وهو قول قتادة<sup>(٥)</sup>. وقال سعيد بن جبير: هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح<sup>(٦)</sup>. وقال سفيان الثوري: هو ما تناثر من الحظيرة إذا ضربتها بالعصا، وهو فعيل بمعنى مفعول<sup>(٧)</sup>. وقال ابن زيد: العرب تسمي كلَّ شيء كان رطباً فييس هشيماً<sup>(٨)</sup>. والحظر: المنع، والمحتظر المفتعل، ويقال منه: احتظر على إبله وحظر، أي: جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض؛ ليمنع برْدَ الريح والسباع عن إبله<sup>(٩)</sup>، قال الشاعر:

(١) مادة: «حظر».

(٢) مجمع الأمثال للميداني ٤٧/١.

(٣) تفسير البغوي ٢٦٢/٤.

(٤) النكت والعيون ٤١٧/٥، وما بعده منه أيضاً، ولم تقف على قائل البيت.

(٥) أخرجه عنهما الطبري ١٤٥/٢٢ - ١٤٦.

(٦) النكت والعيون ٤١٧/٥.

(٧) أخرجه الطبري ١٤٨/٢٢.

(٨) تفسير البغوي ٢٦٢/٤.

(٩) الوسيط ٢١١/٤.

تَرَى جِيفَ الْمَطِيِّ بِجَانِبِيهِ كَأَنَّ عِظَامَهَا خَشَبُ الْهَشِيمِ<sup>(١)</sup>  
وعن ابن عباس: أنهم كانوا مثل القمح الذي ديس وهشم. فالمحظَر على هذا:  
الذي يتخذ حظيرة على زرعه، والهشيم: فُتات السنبله والتبن. ﴿وَلَقَدْ يَسْرَنَا الْفَرَزَانَ  
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذُرِّ ۖ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ  
بَحِينَتُهُمْ ۖ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۖ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا  
فَتَمَارَرُوا بِالَّذُرِّ ۖ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِيهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ۖ ﴿٣٧﴾  
وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ۖ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ۖ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسْرَنَا الْفَرَزَانَ  
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۖ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذُرِّ﴾ أخبر عن قوم لوط أيضاً لما كذبوا لوطاً ﴿إِنَّا  
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ أي: ريحاً ترميهم بالحصباء وهي الحصى<sup>(٢)</sup>. قال النضر: الحاصب:  
الحصباء في الريح. وقال أبو عبيدة: الحاصب: الحجارة<sup>(٣)</sup>. وفي «الصحاح»<sup>(٤)</sup>:  
والحاصب: الريح الشديدة التي تثير الحصباء، وكذلك الحَصْبَة، قال لبيد:  
جَرَّتْ عَلَيْهَا أَنْ خَوَّتْ مِنْ أَهْلِهَا أَذْيَالُهَا كُلُّ عَصُوفٍ حَصْبَةٌ  
عصفت الريح، أي: اشتدت، فهي ريح عاصفٌ وعصوف<sup>(٥)</sup>. وقال الفرزدق<sup>(٦)</sup>:  
مستقبلين شمال الشام تضرِبُنَا بحاصبٍ كنديف القطن منشور

(١) القائل عمرو بن معدى كرب، وهو في الأصمعيات ص ١٧٦، إلا أنه ورد فيه البيت هكذا:

ترى جيف المطي بحافتيه كأن عظامها الرخم الوقوع

(٢) الكشاف ٤٠/٤.

(٣) الوسيط ٤/٢١١، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢٤١/٢.

(٤) مادة (حصب)، والبيت الآتي للبيد وهو في شرح ديوانه ص ٣٥٥، وسلف ١٣/١٢٤.

(٥) الصحاح (عصف).

(٦) في ديوانه ١/٢١٣، وسلف ١٣/١٢٤.

﴿إِلَّا آءَالَ لُوطٍ﴾ يعني: من تبعه على دينه، ولم يكن إلا بنتاه<sup>(١)</sup> ﴿يَجْتَنُّهُمْ بِسَحْرِ﴾ قال الأخفش: إنما أجره؛ لأنه نكرة، ولو أراد سحرَ يوم بعينه لما أجره، ونظيره: ﴿أَفِطْلُوا مِصْرًا﴾ [البقرة: ٦١] لما نكره، فلما عرّفه في قوله: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٩٩] لم يُجر، وكذا قال الزجاج<sup>(٢)</sup>: «سحر» إذا كان نكرة يُراد به سحراً من الأسحار يصرف، تقول: أتيت سحراً، فإذا أردت سحرَ يومك، لم تصرفه، تقول: أتيت سحراً يا هذا، وأتيت بسحر. والسحر: هو ما بين آخر الليل وطلوع الفجر، وهو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض أول النهار؛ لأنّ في هذا الوقت يكون مخايل الليل ومخايل النهار<sup>(٣)</sup>.

﴿يَعْمَهُ مِنْ عِنْدِنَا﴾ إنعاماً منّا على لوط وابنتيه، فهو نُضِب؛ لأنه مفعول له<sup>(٤)</sup>.  
﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ أي: من آمن بالله وأطاعه<sup>(٥)</sup>.

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ يعني: لوطاً، خوّفهم ﴿بَطْسِنَا﴾ عقوبتنا، وأخذنا إيّاهم بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا بِالذِّكْرِ﴾ أي: شكّوا فيما أنذرهم به الرسول ولم يصدّقوه<sup>(٦)</sup>، وهو تفاعل من المرية<sup>(٧)</sup>.

﴿وَلَقَدْ رَوَدُوهُ عَنْ صَيْفِهِ﴾ أي: أرادوا منه تمكينهم ممّن كان أتاه من الملائكة في هيئة الأضياف؛ طلباً للفاحشة على ما تقدّم<sup>(٨)</sup>. يقال: راودته على كذا مراداً ورواداً، أي: أردته. وراد الكلاً يروده رواداً ورياداً، وارزاده ارتياداً بمعنى، أي: طلبه، وفي الحديث: «إذا بال أحدكم فليرتد ليوله» أي: يطلب مكاناً ليّاً أو منحدرأ<sup>(٩)</sup>.

(١) تفسير البغوي ٢٦٣/٤ .

(٢) في معاني القرآن له ٩٠/٥ .

(٣) النكت والعيون ٤١٨/٥ .

(٤) في النسخ: (به)، والمثبت من معاني القرآن للزجاج ٩٠/٥ ، والكلام منه .

(٥) الكشف ٤٠/٤ .

(٦) الوسيط ٢١٢/٤ .

(٧) تفسير الطبري ١٤٩/٢٢ .

(٨) ١٧٦/١١ .

(٩) الصحاح (رود)، والحديث أخرجه أحمد (١٩٥٣٧)، وأبو داود (٣) عن أبي موسى الأشعري . قال المنذري في مختصر السنن ١٥/١ : فيه مجهول .

﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ يروى أن جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه فعموا<sup>(١)</sup>. وقيل: صارت أعينهم كسائر الوجه لا يرى لها شق، كما تطمس الرياح الأعلام بما تسفي عليها من التراب<sup>(٢)</sup>. وقيل: لا، بل أعماهم الله مع صحّة أبصارهم، فلم يروههم<sup>(٣)</sup>. قال الضحّاك: طمس الله على أبصارهم فلم يروا الرسل، فقالوا: لقد رأيناهم حين دخلوا البيت، فأين ذهبوا؟ فرجعوا ولم يروههم<sup>(٤)</sup>. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِي﴾ أي: فقلنا لهم: ذوقوا، والمراد من هذا الأمر الخبر، أي: فأذقتهم عذابي الذي أنذرهم به لوط<sup>(٥)</sup>.

﴿وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بَكْرَةٌ عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: دائم عامّ استقرّ فيهم حتى يفضي بهم إلى عذاب الآخرة<sup>(٦)</sup>. وذلك العذاب قلب قريتهم عليهم، وجعل أعلاها أسفلها. و«بَكْرَةٌ» هنا نكرة، فلذلك صرفت<sup>(٧)</sup>. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِي﴾ العذاب الذي نزل بهم من طمس الأعين غير العذاب الذي أهلكوا<sup>(٨)</sup> به، فلذلك حُسن التكرير. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾ تقدّم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَآخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ يعني: القبط<sup>(٩)</sup>، و«النُّذُرُ» موسى

(١) معاني القرآن للزجاج ٩١/٥، وأخرجه الطبري ١٥٠/٢٢ عن قتادة.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٤١/٢، وتفسير الطبري ١٤٩/٢٢ - ١٥٠.

(٣) النكت والعيون ٤١٨/٥.

(٤) تفسير البغوي ٢٦٣/٤.

(٥) تفسير الطبري ١٥٢/٢٢ بنحوه.

(٦) تفسير البغوي ٢٦٣/٤.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٨/٤.

(٨) تفسير الرازي ٦٣/٢٢.

(٩) الوسيط ٢١٢/٤.

وهارون<sup>(١)</sup> وقد يطلق لفظ الجمع على الاثنين. ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ معجزاتنا الدالة على توحيدنا ونبوة أنبيائنا<sup>(٢)</sup>، وهي العصا، واليد، والسُنون، والطمسة، والظوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. وقيل: «النُّذْرُ»: الرسل، فقد جاءهم يوسف وبنوه إلى أن جاءهم موسى، وقيل: «النذر» الإنذار<sup>(٣)</sup>. ﴿فَلَاخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ﴾ أي: غالب في انتقامه ﴿مُقَدِّرٌ﴾ أي: قادر على ما أراد.

قوله تعالى: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيِّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿٤١﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٢﴾ سَيُهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٣﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمْرٌ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيِّكُمْ﴾ خاطب العرب. وقيل: أراد كفار أمة محمد ﷺ<sup>(٤)</sup>. وقيل: استفهام، وهو استفهام إنكار<sup>(٥)</sup>، ومعناه النفي، أي: ليس كفاركم خيراً من كفار من تقدّم من الأمم الذين أهلكوا بكفرهم<sup>(٦)</sup>. ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: في الكتب المنزلة على الأنبياء بالسلامة من العقوبة<sup>(٧)</sup>. وقال ابن عباس: أم لكم في اللوح المحفوظ براءة من العذاب. ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ أي: جماعة لا تطاق؛ لكثرة عددهم وقوتهم<sup>(٨)</sup>، ولم يقل: منتصرين؛ اتباعاً لرؤوس الآي<sup>(٩)</sup>، فردّ الله عليهم فقال: ﴿سَيُهْرَمُ الْجَمْعُ﴾ أي: جمّع كفار مكة، وقد كان ذلك يوم بدر وغيره<sup>(١٠)</sup>.

(١) تفسير أبي الليث ٢٠٣/٣.

(٢) الوسيط ٢١٢/٤.

(٣) زاد المسير ١٠٠/٨.

(٤) أخرجه الطبري ١٥٦/٢٢ عن الربيع بن أنس.

(٥) تفسير البغوي ٢٦٤/٤.

(٦) النكت والعيون ٤١٩/٥.

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٤.

(٨) النكت والعيون ٤١٩/٥.

(٩) تفسير البغوي ٢٦٤/٤.

(١٠) تفسير أبي الليث ٣٠٣/٣، والنكت والعيون ٤١٩/٥.

وقراءة العامة: «سَيُهْزَمُ» بالياء، على ما لم يُسَمَّ فاعله، «الْجَمْعُ» بالرفع. وقرأ  
رُوَيْسٌ عن يعقوب: «سَنَهْزِمُ» بالنون وكسر الزاي «الْجَمْعُ» نصباً<sup>(١)</sup>.

﴿وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ قراءة العامة بالياء؛ على الخبر عنهم. وقرأ عيسى وابن إسحاق  
ورُوَيْسٌ عن يعقوب: «وَتُولُونَ» بالتاء؛ على الخطاب<sup>(٢)</sup>.

و«الدُّبُرُ» اسم جنس، كالدرهم والدينار، فوَحَّد، والمراد الجمع<sup>(٣)</sup>؛ لأجل  
رؤوس الآي. وقال مقاتل: ضرب أبو جهل فرسه يوم بدر فتقدَّم من الصَّفِّ وقال:  
نحن ننتصر اليوم من محمَّد وأصحابه؛ فأنزل الله تعالى: «نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرُونَ. سَيُهْزَمُ  
الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ»<sup>(٤)</sup>.

وقال سعيد بن جبير: قال سعد بن أبي وقاص: لما نزل قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ  
الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ كنت لا أدري أيَّ الجَمْعِ ينهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ  
يَثِبُ في الدرع ويقول: «اللَّهُمَّ إِنَّ قَرِيشاً جَاءتْكَ تُحَادُكُ وتُحَادُ رَسولَكَ بفخرها  
وخيلها<sup>(٥)</sup> فَأَجِنْتَهُمُ<sup>(٦)</sup> الغداة». ثم قال: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ» فعرفت  
تأويلها<sup>(٧)</sup>. وهذا من معجزات النبي ﷺ؛ لأنه أخبر عن غيب، فكان كما أخبر<sup>(٨)</sup>.

(١) النشر ٢/٣٨٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٢٢٠، وزاد المسير ٨/١٠٠، والبحر المحيط ٨/١٨٣.

(٣) تفسير البغوي ٤/٢٦٤.

(٤) الكشاف ٤/٤١ ولم ينسبه.

(٥) في (م): وخيلاتها.

(٦) في (م): فأجنهم. ولم تنقط في النسخ الخطية، والمثبت من مصادر التخريج، والحيث: الهلاك، وقد  
حان، وأحانه الله. القاموس (حين)، وأخنى عليهم بمعناه. القاموس (خني)، وسيذكره المصنف قريباً.  
ودعاؤه ﷺ على قريش ورد في خبر آخر عند ابن هشام في السيرة ١/٦٢، والواقدي في المغازي ١/٥٩  
عن سعد بن معاذ.

(٧) لم نقف عليه من رواية سعد بن أبي وقاص، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/٢٥٩، والطبري  
٢٢/١٥٧، من طريق عكرمة، أن عمر قال: لما نزلت: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾.. بنحوه.

وأخرجه الطبراني في الأوسط (٣٨٤١) من طريق معمر، عن قتادة، عن أنس: أن عمر بن الخطاب  
قال: لما نزلت: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾.. بنحوه. وبرقم (٩١١٧) عن أبي هريرة مطولاً، وذكرهما  
الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٧٨، وقال عن الأول: وفيه محمد بن إسماعيل بن علي الأنصاري، ولم  
أعرفه. وقال عن الثاني: وفيه عبد العزيز بن عمران، وهو ضعيف.

(٨) تفسير أبي الليث ٣/٣٠٢.

أخنى عليه الدهر. أي: أتى عليه وأهلكه، ومنه قول النابغة:  
أخنى عليه الذي أخنى على لُبْدٍ

وأخنت عليه: أفسدت<sup>(١)</sup>. قال ابن عباس: كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين، فالآية على هذا مكّية. وفي «البخاري»<sup>(٢)</sup> عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية ألعب: «بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ». وعن ابن عباس أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال - وهو في قَبَةِ له يوم بدر -: «أَنْشُدْكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبِدْ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا» فأخذ أبو بكر ﷺ بيده وقال: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَيَّ رَبِّكَ؛ وَهُوَ فِي الدَّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: «سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ. بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ»<sup>(٣)</sup> يريد القيامة.

«وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ» أي: أدهى وأمرُّ مما لحقهم يوم بدر<sup>(٤)</sup>. و«أَذْهَى» من الداهية، وهي الأمر العظيم، يقال: دهاه أمرٌ كذا، أي: أصابه دهاؤاً ودهياً. وقال ابن السكيت: دَهَتْه دَاهِيَةٌ دَهْوَاءٌ وَدَهْيَاءٌ، وَهِيَ تَوْكِيْدٌ لَهَا<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُوفُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدْرِ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ أي: في حَيْدَةٍ عَنِ الْحَقِّ و«سُعُرٍ» أي: احتراق<sup>(٦)</sup>. وقيل: جنون<sup>(٧)</sup>، على ما تقدّم في هذه السورة.

(١) الصحاح (خني)، والبيت في ديوان النابغة الذبياني ص ٣١، وروايته هكذا:

أمست خلاءً وأمسى أهلها احتملوا  
أخنى عليها الذي أخنى على لبد  
(٢) برقم (٤٨٧٦).

(٣) البخاري (٤٨٧٧)، وهو عند أحمد (٣٠٤٢).

(٤) معاني القرآن للفراء ١١٠/٣.

(٥) الصحاح (دهي)، وكلام ابن السكيت في إصلاح المنطق ص ١٥٧.

(٦) تفسير الطبري ١٥٩/٢٢.

(٧) المحرر الوجيز ٢٢١/٥.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ : في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: «يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ». خرجه الترمذي أيضاً وقال: حديث حسن صحيح<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم عن طاوس قال: أدركتُ ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كلُّ شيء بقدر. قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال النبي ﷺ: «كلُّ شيء بقدر حتى العجز والكيس، أو: الكيس والعجز»<sup>(٢)</sup>. وهذا إبطال لمذهب القدرية.

«ذوقوا» أي: يقال لهم: ذوقوا<sup>(٣)</sup>. ومثها: ما يجدون من الألم عند الوقوع فيها<sup>(٤)</sup>. و«سقر» اسم من أسماء جهنم لا ينصرف؛ لأنه اسم مؤنث معرفة<sup>(٥)</sup>، وكذا: لظي، وجهنم. وقال عطاء: «سقر»: الطبقة السادسة من جهنم. وقال قطرب: «سقر» من سقرته الشمس وصقرته: لَوَحْتَه. ويوم مُسْمِقِرٌ ومُصْمِقِرٌ: شديد الحر<sup>(٦)</sup>.

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ قراءة العامة: «كُلٌّ» بالنصب. وقرأ أبو السَّمَّال: «كُلٌّ» بالرفع على الابتداء<sup>(٧)</sup>. ومن نصب؛ فيإضمار فعل، وهو اختيار الكوفيين؛ لأنَّ «إِنَّ» تطلب الفعل، فهي به أولى<sup>(٨)</sup>، والنصب أدلُّ على العموم في المخلوقات لله تعالى؛ لأنك لو حذف «خَلَقْنَاهُ» المفسر، وأظهرت الأوَّل، لصار إنَّا

(١) مسلم (٢٦٥٦)، والترمذي (٢١٥٧)، وهو عند أحمد (٩٧٣٦)، وابن ماجه (٨٣)، والواحدي في أسباب النزول ص ٤٢٥.

(٢) مسلم (٢٦٥٥)، وهو عند أحمد (٥٨٩٣).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٩٢/٥.

(٤) الكشف ٤١/٤.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢٤٧/٥.

(٦) الصحاح (سقر) و(صقر).

(٧) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحتسب ٣٠٠/٢.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٠/٤.

خلقنا كلَّ شيء بقَدْر. ولا يصحُّ كون خلقناه صفة لشيء؛ لأنَّ الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف، ولا تكون تفسيراً لما يعمل فيما قبله<sup>(١)</sup>.

الثالثة: الذي عليه أهل السنة أنَّ الله سبحانه قدَّر الأشياء، أي: عَلِمَ مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في عِلْمه أنَّه يوجد على نحو ما سبق في عِلْمه، فلا يحدث حدث في العالم العلويِّ والسفليِّ إلا وهو صادر عن عِلْمه تعالى وقدرته وإرادته دون خَلْقِه، وأنَّ الخَلْق ليس لهم فيها إلا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة، وأنَّ ذلك كلُّه إنَّما حصل لهم بتيسير الله تعالى وبقدْرته وتوفيقه وإلهامه، سبحانه لا إله إلا هو، ولا خالق غيره، كما نصَّ عليه القرآن والسنة، لا كما قالت القدرية وغيرهم من أن الأعمال إلينا، والآجال بيد غيرنا.

قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: الأعمال إلينا، والآجال بيد غيرنا، فنزلت هذه الآيات إلى قوله: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» فقالوا: يا محمد يَكْتُب علينا الذنب ويُعَذِّبنا؟! فقال: «أنتم خصماء الله يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

الرابعة: روى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ مجوسَ هذه الأمة المكذِّبون بأقدار الله، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلّموا عليهم». خرَّجه ابن ماجه في «سننه»<sup>(٣)</sup>. وخرَّج أيضاً عن ابن عباس وجابر قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «صنّفان من أمّتي ليس لهم في الإسلام نصيب: أهل الإرجاء والقَدَر»<sup>(٤)</sup>.

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي ٧٠٢/٢.

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٤٢٦ عن عطاء مرسلأ بنحوه.

(٣) برقم (٩٢)، وأخرجه أيضاً ابن أبي عاصم في السنة (٣٢٨)، والطبراني في الأوسط (٤٤٥٢) من طريق ابن جريج، عن أبي الزبير، به. قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٥٥/١: هذا إسناد ضعيف، فيه بقية ابن الوليد، وهو مدلس، وقد عنعنه. اهـ. وفي الباب عن ابن عمر وعن حذيفة، وهما عند أبي داود (٤٦٩١) و(٤٦٩٢)، وينظر كلام المنذري في مختصر السنن ٥٨/٧ - ٦١ حول الحديثين.

(٤) سنن ابن ماجه (٧٣)، وأخرجه أيضاً ابن أبي عاصم في السنة (٩٤٨). قال البوصيري في مصباح =

وأَسَدُ النَّحَّاسِ: وَحَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَرِيكَ الْكُوفِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَقْبَةُ بْنُ مَكْرَمِ الصَّبِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَيْسِرَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْقَدَرِيَّةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِأَيْدِينَا. لَيْسَ لَهُمْ فِي شِفَاعَتِي نَصِيبٌ وَلَا أَنَا مِنْهُمْ وَلَا هُمْ مِنِّي»<sup>(١)</sup>.

وفي «صحيح مسلم»<sup>(٢)</sup> أَنَّ ابْنَ عَمْرٍو تَبَرَّأَ مِنْهُمْ، وَلَا يَتَبَرَّأُ إِلَّا مَنْ كَافَرَ، ثُمَّ أَكَّدَ هَذَا بِقَوْلِهِ: وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ، مَا قَبَلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ. وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْمُنَافِقِينَ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَّلَ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ فَفَقَنَتْهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤] وهذا واضح. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ يُذْهِبُ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ»<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَذْكَرٍ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٣﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٥﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ أَي: إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً<sup>(٤)</sup>. ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ أَي: قِضَائِي فِي خَلْقِي أَسْرَعُ مِنْ لَمَحِ الْبَصَرِ<sup>(٥)</sup>. وَاللَّمْحُ: النَّظَرُ بِالْعَجَلَةِ، يُقَالُ: لَمَحَ

= الزجاجة ٥٢/١ : هذا إسناد ضعيف، نزار بن حيان الأسدي قال ابن حبان في الضعفاء: يأتي عن عكرمة بما ليس من حديثه حتى يسبق القلب أنه المتعمد، لذلك لا يجوز الاحتجاج به بحال، وعبد الله ابن محمد الليثي مجهول. قال الذهبي. اهـ وأخرجه أيضاً الترمذي (٢١٤٩) عن ابن عباس وحده. قال الترمذي عقبه: وهذا حديث غريب حسن صحيح.

(١) وأخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل ١٢٢٤/٣ بإسناده ومثته، وورد في مطبوعه: عتبة، بدل: عقبة. وهو خطأ. قال ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/١٦١ - ١٦٢: هذا حديث لا يصح، وقال ابن حبان: سعيد بن ميسرة [من رجال السنن] يروي الموضوعات. اهـ

(٢) برقم (٨).

(٣) أخرجه القضاي في مسند الشهاب (٢٧٧)، وفيه مجاهيل.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/١١٠.

(٥) الوسيط ٤/٢١٦ وعزاه إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

البرق ببصره<sup>(١)</sup>. وفي «الصحاح»<sup>(٢)</sup>: لَمَحَ وَأَلْمَحَ: إذا أَبْصَرَهُ بَنَظَرَ خَفِيفٍ، والاسم: اللَّمْحَةُ، وَلَمَحَ الْبَرْقُ وَالنَّجْمُ لَمَحًا، أي: لَمَعَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أي: أشباهكم في الكفر من الأمم الخالية<sup>(٣)</sup>. وقيل: أتباعكم وأعوانكم<sup>(٤)</sup>. ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ أي: مَنْ يَتَذَكَّرُ.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: جميع ما فعلته الأمم قبلهم من خير أو شر كان مكتوباً عليهم، وهذا بيان قوله: «إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ».

«في الزُّبُرِ» أي: في اللوح المحفوظ. وقيل: في كتب الحفظ<sup>(٥)</sup>. وقيل: في أم الكتاب<sup>(٦)</sup>. ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ أي: كلُّ ذَنْبٍ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ مَكْتُوبٌ عَلَى عَامِلِهِ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَهُ؛ لِيَجَازِيَ بِهِ، ومكتوب إذا فعله<sup>(٧)</sup>. سَطَرَ يَسْطُرُ سَطْرًا: كَتَبَ، واستطر مثله<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْتَقِيْنَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ﴾ لما وَصَفَ الْكُفَّارَ وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا. «وَنَهْرٍ» يعني: أنهار الماء والخمر والعسل واللبن، قاله ابن جريج<sup>(٩)</sup>. ووحد؛ لأنه رأس الآية<sup>(١٠)</sup>، ثم الواحد قد يُنْبِئُ عَنِ الْجَمِيعِ<sup>(١١)</sup>. وقيل: في «نَهْرٍ»: في ضياء وسعة، ومنه النهار؛ لضياؤه، ومنه: أَنَهَرْتُ الْجُرْحَ، قال الشاعر:

(١) تهذيب اللغة ٩٨/٥.

(٢) مادة (لمح).

(٣) الوسيط ٢١٦/٤.

(٤) تفسير أبي الليث ٣٠٣/٣.

(٥) تفسير البغوي ٢٦٦/٤.

(٦) تفسير الطبري ١٦٤/٢٢ - ١٦٥ وأخرجه عن ابن زيد.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٩٢/٥.

(٨) الصحاح (سطر).

(٩) النكت والعيون ٤٢٠/٥.

(١٠) معاني القرآن للفراء ١١٠/٣ - ١١١.

(١١) معاني القرآن للزجاج ٩٣/٥.

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنهَرْتُ فَتَقَّهَا      يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونهَا مَا وِرَاءَهَا<sup>(١)</sup>  
 وقرأ أبو مجلز وأبو نَهِيك والأعرج وطلحة بنِ مِصرِفٍ وقتادة: «وَنُهْرٍ»  
 بضمَّتين<sup>(٢)</sup>، كأنه جمع نهار، لا ليلَ لهم، كسحاب وسُحُب. قال الفراء<sup>(٣)</sup>: أنشدني  
 بعض العرب:

إِنْ تَكُ لَيْلِيًّا فَإِنِّي نَهْرٌ      مَتَى أَرَى الصُّبْحَ فَلَا أَنْتَظِرُ  
 أي: صاحب النهار. وقال آخر:

لَوْ لَا الشَّرِيدَانِ هَلَكْنَا بِالضُّمُرِ      ثَرِيدٌ لَيْلٍ وَثَرِيدٌ بِالنُّهْرِ<sup>(٤)</sup>  
 ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، وهو الجنة ﴿عِنْدَ مَلِكٍ  
 مُقَدَّرٍ﴾ أي: يقدر على ما يشاء. و«عِنْدَ» هاهنا عندية القربة والزلفة والمكانة والرتبة  
 والكرامة والمنزلة<sup>(٥)</sup>. قال الصادق: مدح الله المكانَ الصدقَ فلا يَقْعُدُ فيه إلا أهل  
 الصدق. وقرأ عثمان البَتي: «فِي مَقَاعِدِ صِدْقٍ» بالجمع<sup>(٦)</sup>، والمقاعد: مواضع قعود  
 الناس في الأسواق وغيرها.

قال عبد الله بن بريدة: إنَّ أهل الجنة يدخلون كلَّ يوم على الجبَّار تبارك وتعالى،  
 فيقرؤون القرآنَ على ربِّهم تبارك وتعالى، وقد جلس كلُّ إنسان مجلسه الذي هو  
 مجلسه، على منابر من الدُرِّ والياقوت والزَّبَرَجَدِ والذَّهَبِ والفضَّة بقَدْر أعمالهم، فلا

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٥، والقائل: قيس بن الخطيم، وسلف ١/٣٦٠.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحتسب ٢/٣٠٠، والمحزر الوجيز ٥/٢٢٢، والبحر المحيط ٨/١٨٤.

(٣) في معاني القرآن له ٣/١١١، وينظر تفسير الطبري ٢٢/١٦٧.

(٤) النكت والعيون ٥/٤٢٠، والبيت سلف ٢/٤٩٢.

(٥) لفظ العِنْدُ فيما يضاف إلى الله تعالى يختلف حاله ومعناه حسب وروده في الكلام وما يحفَّ به من  
 قرائن، فما كان ظاهره إرادة المكان ولم يرد ما يحمله على معنى آخر فينبغي أن يحمل على ظاهره وهو  
 العلو والقرب من الله عز وجل، وينظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥/٢٢٦.

(٦) تفسير البغوي ٤/٢٦٦، والمحزر الوجيز ٥/٢٢٢.

تَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ بِشَيْءٍ قَطُّ كَمَا تَقَرَّرَ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَسْمَعُوا شَيْئاً أَعْظَمَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْهُ، ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، قَرِيرَةً أَعْيُنُهُمْ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْغَدِ<sup>(١)</sup>.

وقال ثور بن يزيد عن خالد بن معدان: بلغنا أن الملائكة يأتون المؤمنين يوم القيامة فيقولون: يا أولياء الله انطلقوا. فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة. فيقول المؤمنون: إنكم تذهبون بنا إلى غير بغيتنا. فيقولون: فما بغيتكم؟ فيقولون: مقعد صدق عند مليك مقتدر<sup>(٢)</sup>. وقد روي هذا الخبر على الخصوص بهذا المعنى؛ ففي الخبر: أن طائفة من العقلاء بالله عز وجل تزفها الملائكة إلى الجنة والناس في الحساب، فيقولون للملائكة: إلى أين تحملوننا؟ فيقولون إلى الجنة. فيقولون: إنكم لتحملوننا إلى غير بغيتنا. فيقولون: وما بغيتكم؟ فيقولون: المقعد الصدق مع الحبيب كما أخبر: «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ»، والله أعلم.

تم تفسير سورة «القمر» والحمد لله.

(١) أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ١٥٦ عن النبي ﷺ، من غير إسناد، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦/١٣٩ وعزاه للحكيم الترمذي بإسناده عن بريدة مرفوعاً.

(٢) أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ١٥٦ دون عزو، والسيوطي في الدر المنثور وعزاه للحكيم الترمذي بإسناده عن ثور بن يزيد.